السمّاح عبد الله

شتاءة للعاشق الوحيد

الأعمال الشعرية - ١

السمّاح عبد الله

شِتَاءَةٌ لِلْعَاشِقِ الْوَحِيدْ

مطارحاتٌ في المحبة

شعر

السمّاح عبد الله

إِشَارَةْ

* صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان في أبريل ٢٠٠٤ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن كتاب (هواء طازج)، وصدرت الطبعة الثانية في أغسطس ٢٠٠٩ عن دار التلاقي للكتاب

* كُتبتْ هذه القصائدُ ونُشرتْ في أواخر السبعينيّات وأوائل الثمانينيّات من القرن الماضي، وتمثل هي وقصائد ديوانَيْ (سقيفة الفقراء) و (حصيرة البارحةُ) الخطواتِ الشعريةَ الأولى لي، والهواءَ الطازجَ الذي تنسَّمتُه في ذلك الزمانِ البعيدْ .

إِهْدَاءَةْ

إلى ذلك الوقت الصغير الذي تسرب من أصابعي، كما تتسرب الفرحة من القلوب فجأة، وإلى رفقاء الدرب الذين شبّكوا أصابعهم في أصابعي في بداية الخُطا :

رفعت المغربي، حمدان عبداللطيف، جمال فاضل، كمال عبد الحميد، المنجي سرحان، محمد خضر عرابي، ياسر الزيّات، عصام زايد، عزت صابر، محمد حسني طه .

الصحاب الأعزاء خطّفتنا أصابع الوقت، والبلاد البعيدة، وحاجات الدنيا، والعيال. لكني مازلت رغم كل هذه الجدارات، أمشي بنبضات قلوبكم.

بَدْءُ الْقَوْل

إذا نظرت إليه حرت من وله
يا ليت قلبي يقسو حين ينظره
أبيت أعزل قلبي في محبته
والعين في عبرات الدمع تحدره
فهل تعاون قلبي في حوائجه
يا أيها الأمل الممنوع مصدره.

عبد الرحمن شكري

غَرَامْ

أغسطس ١٩٨٢

أسوق عليكِ القصيدةَ أن تخزني
كِسَرَ القول لي
إن أتيتكِ ذات صباحْ
مقلتاي فدادين فرحٍ
وكفّاي ممدودتان بجرحٍ
وقوليَ هطّال بوحٍ
وخطوي مباحْ
وجيوبي محشوّةٌ فتنةً

وغرامَا
وعيناي غائمتان
كمزن يهطِّلُ قطرًا حرامَا
وكفاي راعشتان
وتحتويان فؤادي كي لا يموت هيامَا
أسوق عليك القصيدةَ
إني غدا
سوف أبلغ عشرين عامَا
سوف أبلغ عشرين موتا
وعشرين أغنيةً
تترقرقُ نازفةً بالجراحْ.

يُحَاوِلُهَا الْكَافِرُونَ وَتَرْضَى

مايو ١٩٨٢

خبرتكِ العصافير في أول الأمرِ
أن جميلاً
شديد سواد الثيابِ
شديد بياض الفؤادِ
على شعره من غبار الرحيل الكثيرُ
يحطك في زمن اليتمِ
في زمنٍ للفراغ الطويلِ
يخصّب

في سنوات الجفافِ
يفتّح أبوابك المغلقاتِ
يرش عطاياهْ
خبّرتكِ العصافيرُ أني أنا آخر الأنبياءِ
وأجملهم
ليس قوليَ كذبًا
ولا في يميني كتابٌ يُنَبّيء عن زمنٍ
لا يكونُ
ولا تستبين خفاياهْ
خبّرتك العصافيرُ أنك أنت التي اختارها اللهْ
كي أجرب فيها نبوّتيَ المصطفاةْ
وأخططها في عروقي
وأمشي
أذيع على الناس سرّي

أحدد خارطة الكفر بين أبي لهبٍ
وأبي جهلْ
أحرقها بهما
وتظلين بين عروقي
وأمشي
وأنتِ كما أنت
كافرةٌ برفيف العصافيرِ
غير مصدّقة بكلام العصافيرِ
ضيّقةٌ بغناء العصافيرِ
لا تبصرين افتراح الفدادين
حين تغني العصافيرُ
خبّرتك العصافيرُ أنك أنت التي اختارها اللهْ
كي أجرب فيها نبوّتيَ المصطفاةَ
وقال ليَ:

اكتب

قلت: لا أستطيع

ضمّني

ثم صبّ الكلام الإلهيَّ في جثتي

قلت:

لا أستطيع

هزّني هزّة كالزلازلِ

أحسست ساعتها أنه كان يوم النشور

قلت:

يا رب لا أستطيع

فخيّرني بين نفيي عن الكون وحدي

وبين تسلخ جلديَ

فاخترت أن أكتب اسمك

علمني اللهُ أن أكتب اسمك

أن أتملى خباياهْ.

.....

نونٌ .. دالٌ .. ياءْ

كافرةٌ بكلام الشعراءْ

نونٌ .. دالٌ .. ياءْ

أعشقها يا ربي

لكن نبيا آخر جاء

لم تبعثه

كذابٌ يا ربي

لكن حبيبتيَ الكذابة صدقت الناس الجهلاء

نونٌ .. دالٌ .. ياءْ

لما قلتَ ليَ اكتب

خفتك يا ربي

فجريت إليها

عريانا
إلا من رعشة أطرافي
ووحيدا
إلا من أشباح
تتقافز حول خطايَ
تضلل تطوافي
يتسلق جلدي الذعر كثعبان
يتلوّى من اخمص قدميّ
إلى مفرق شعري
ناديت عليها لتزمّلني
فأشاحت عني
وأدارت عينيها للمخلوقات الأخرى
في طرقات اللهِ
ودثرني الناسُ الغرباءْ

نونٌ .. دالٌ .. ياءْ.

.....

بعدها

أنا هاجرت يا امرأة لا تصدق قول

العصافيرِ

كان الذي في سريري عدوّي

يضللني

لا يضللهم

فاستدلوا على ناقتي في الفيافي

ليس لي صاحبٌ أو دليلٌ

وليس على مدد البيد غارٌ

على بابه ينسج العنكبوت حكاياه

كي أتخفى

ووحدي

حاصروني
قرأت لهم ما تيسر لي من قصائد
تمتمت بالكلم الغامض
وأقمت أمامهمُ ألفَ سَدٍ
ومن خلفهم ألفَ سدٍ
وبينهمُ ألفَ سدٍ
رششت عيونهمُ
بتفاعيل شعري
نثرت تعازيم سِرِّ نبوتيَ المصطفاة
فأغشيتهم
فهمُ لا يرون
واقتربتُ حدودَ المدينةِ
لم يكُ في سورها نفَرٌ ينصرون
يقولون إني طلعت على دورهم شجرا

يترقّص
أو قمرا
يتبصَّصُ
أخرجتهم من ديارهمُ
ومنحت عطاياىَ
آخيت بين المدينةِ
والشجر العاطفيْ.
.....
دمك الآن أسقطه من دمي
قطرةً
قطرةً
وأقول الكلامَ الذي أنت كذَّبتِ فيه
العصافيرَ
في سنوات الجفافِ

وسقَّطتُ من مقلتيكِ هواهُ
ومن ناهديك شذاهُ
ومن خطوك المتسرّعِ
سِكَّته المستحمة في خفقات
ضياهُ
أقولُ
وأنت كما أنت
يقصدك الأدعياءُ
وتبتسمين
يحاولك الكافرون
وترضين
ما زلت تصطحبين الهواء المزيف
تقتطعين من الوقت أضيقه
ومن المطرح المتباعد

أكذبه
ومن الشجر المتطاولِ
ما خرَّبته رياح الخريفِ
وما هجرته العصافيرُ
ما زلتِ
كافرةً بالعصافير.

كُنْ وَطَنًا لِي

فبراير ١٩٨٠

كن مطرا لما يفجأني الصيفْ
كن صدرا يدفئني
حين شتاء الخوفْ
وحدائقَ باسقةً
في عمري الجدبي
خذ بيدي
وارفق بي
كن قطعة فرحٍ تجري في خوف

ظنوني
وقميصا ألبسه
فتضيء عيوني
كن بدئي
حين أفولي
ومحطاتٍ
في سفري وقفولي
فاجئني بك في الليل شموسًا
ونهارَا
وتفجّر في جدبي
أنهارَا
واطلع في آخر عمري زمنا طفلاَ
كن حين تهبُّ الريح الهوجاء بصحرائي
نخلاَ

وتنزَّلْ فرَحًا في أرضي
دامعة العينين
كن وطنا
لما أتغربُ
وحياةً حين الموت.

حِكَايَةْ

نوفمبر ١٩٧٩

وقلت لها:
لست أملك قلبا به حجرةٌ لاحتواء النساءْ
فقالت:
أحبك
لا
لست أملك غير الدموع
وغير امتداد البكاءْ
أحبك

ضُمّ ارتعاشةَ كفيَّ
لُمّ ابرادة نهديّ
دَفِّيءْ مشاوير من تتخوّفُ في بَرَدِ الليلِ
دُلّ خطايَ
احتويني
امتزجنا
ارتعشنا
اقتسمنا المساءْ
حكيت لها قصتي مذ ولدت شقيا
على طرقات الرجاءْ
حكت لي حكايتها
منذ خَطَّفَتِ الفرح ذات ضحى قرويٍّ
ودسَّتْه بين الحنين وبين القميصِ
وطارت وراء نداه الخفيفِ

كعصفورةٍ
وتطارد موعدَها المتواوج
بين الغمامِ
ففاجأها الخوفُ
والجوعُ
والبردُ
مستترين وراء الظلام المراوغ
واصطحبوها إلى سككٍ
متعرجةٍ
وهواءٍ يرقصه شبحٌ يتخفى
ويظهر
حتى استطال البلاءْ
وقالت:
أحبك منذ زمان أعاني اغترابا

وشوقا إلى قطرات الضياء
تسكعت بين الممرات والعتبات
كثيرا
كثيرا
تبعثرت بين فصول الخريف
وبين فصول الخريف
إلى أن سكنت حشيش اللقاءْ
أحبكِ
قلتُ
وقبلتها
وافترقنا
ولا أدري أي المدائن سارت إليها
وأي الرجال احتواها
إلى طرقات الخلاء

ومرت سنون
وساءلت عنها
يقولون:
كانت تسير على طرقات الشتاءْ
وماتت
يقولون:
كانت تصاحب في كل درب سلالا من الورد
يقطفها حفنة التعساءْ
وماتت
يقولون:
كنا نشاهدها كل يوم
يُرَقِّصُها شبحٌ
يتخفى
ويظهر في سككٍ

متعرجةٍ
ويقولون:
كانت تموت وماتت
وصرنا حكاية
بألسنة العابرين على
طرقات المساء.

مِنْ حَالاتِ الجُّنْدِيّ الصَّبّْ

سبتمبر ١٩٨٣

ذات صباحْ
قال الجندي الصب:
مشتاقٌ هذا الشط لبحري
مشتاق بحري للشط
والشاطيءُ لا يقدر أن يبحر في بحري
وأنا بحري يخجل أن يشتط
الشاطيء ممتليء أشجارا
تثمر صيفا وشتا

يبهج منظرُها الضيفَ
إذا الضيفُ أتى
وأنا بحري جوعانٌ
طول العام
والموج الصاخب فيه
ليس ينام
وتساءل:
هل يحتمل الجندي الصب
جمال حبيبته؟
هل يحتمل تنهدها في غربته؟
وإلامَ يسكت؟ ولمَ؟.
.....
في ميدان النار
انبطح الجنديُّ الصبُّ
وفكر في قطرات الأنهار

ضيّق عينيه
وصّوبَ
قيل:
اضربْ
ضربَ
وأصاب الجندي الصبُّ الهدفا
قرر شيئا
وارتاح.

حِكَايَةٌ مَنْقُوصَةٌ

ديسمبر ١٩٨٤

أحبيني
فإن هواءك العريانَ
حلَّى شهرَ تشرينِ
وزوَّجتِ القبائلُ كلَّ ناهدةٍ
وكل فتىً
ورشرشنا الأغاني
في الفدادينِ
رمينا الناس

بالحلوى
وسقنا في طريقِ الفجرِ للغيطانِ
جاموسا
وأبقارا
ودحرجنا على درج السما
شمسا
وأقمارا
وسُقْنا للشيوخِ
القمحَ
والرغفانَ
والنارا
ولم يتبقَ غير حكايةٍ
منقوصةٍ
وغدٍ شحيحٍ في دقائقه

وفستانٍ
على قدٍّ صغيرٍ في الهوى
وأريجِ سيدةٍ
يفوحُ
كزهرِ نسرينِ.

قَبْضُ رِيحْ

يوليو ١٩٨١

هذا عبيرك مرَّ من قُدّامي
فنسجت عيني شَرَكًا
أوقفته
كلمته
ودعوته يأتي
ويجلس في خيامي
فترقرقت جنباته مِزَقًا
مبعثرةً

وطافت حول أعطافي
ودارت حول آلامي
حتى إذا ما شِلته في راحتيّ
وخِلت أني صِدته
وقعت نسائمه الرقيقةُ من أصابع
راحتيّ
وسار منفلتا
يعرّج في طريق البحرِ
والأشجارِ
لا يلوي على شيءٍ
أنا حلو القميص أمامه
لكنه
ما اهتم بالأمر الجميل
ولم يكلف نفسه

- جبرا لخاطريَ الكسيرِ–
بأن يردَّ على
سلامي.

وأعْرِفُ أَنَّكَ كَالطَّيْرِ

مايو ١٩٧٩

وأعرف أنك كالشمسِ تشرق
ثم تغيبْ
وأعرف أنك مثل الربيع
تسافر
ثم تئوبْ
وكالفجر
والبدر
والأمسياتِ الدءوبْ

كطير
يسافر عن شرفتي
ويعود لينقرَ فوق الزجاجْ
وأعرف أني أحبك
تعودتُ يا صاحبي
أن تغيب
تعودتُ أن أنتظرْ
تعوَّد قلبي فراغك
وهو يضمك يا قدرا يستجيب
فسافر
وهاجر
سأبقى هنا
بين هذي المرايا
أراقب هذا الطريق الطويل الذي

ليس في بابه حلقةٌ
أو رتاجْ
لأني أعرف أنك كالطير
ترحل عن شرفتي
وتعودُ
لتنقر فوق الزجاجْ.

خُدْعَةُ فَبْرَايِرْ

فبراير ١٩٨٤

في سوهاجَ
يظل البرد يدقُّ على جدران القلبِ
فلا تتمشَّ على كبري أخميمَ
وحيدًا
إن حط الليلُ
وحاذرْ أن يأتي فبرايرُ
حين تكون عشيقا
أو عشّاقًا

وتخيّر إمرأةً أخرى
غير ندى
ويكون لها تفاحٌ فرحانٌ في الخدين
ورمّانٌ خوّافٌ
وعصافيرُ ملونةٌ
ويكون لها ألقٌ نشوانٌ
لمّا يهتزُّ بعشقكما كبري أخميمَ
إذا مرت بجواركما سياراتُ النقلِ الطوّافةُ
والمتسرّعةُ
تدثرْ يا ذا الألقِ
ويا ذا الأرقِ
ويا ذا القلقِ
ففي سوهاجَ
يظل البردُ يدقُّ على جدران القلبِ

وها هو فبرايرُ
يخطرُ في الطرقاتِ
كعادات لياليهِ
كأنك لست عشيقا
أو معشوقا.

عَنْ حَنِينِ الْبَنَفْسَجْ

سبتمبر ١٩٨٢

هي سيدةٌ تشبه البرتقالَ
تقلل أعوامها
حين يسألها الغجريُّ المراوغُ
تفضح مشمشها
وهي تخلع نظارةً
وتفسِّر أحوال برد الليالي
وتمنح للدفء أعذاره
وتحدد خارطةً للبنفسجِ

ليست تؤاخي قوانينه
بنواميس أفراحها
ولها ما لها من خصالِ
وهو الآن يقعد قُدَّامها
ويحاول ألا يبيّن ما مسَّه
في جوانحه
وهي تفضح مشمشها
والعيونُ العشيقةُ فضَّاحةٌ
وهو لم يتعود يداري أمام العيون العواشقِ
أحواله
يتضايق من دسِّها
وهو يعرف أن العيون إذا ما التقت
بالعيون
تصير مُقَتِّلَةً كالنصالِ

لا يخطط حين يبوحُ
يبوح بكل الذي
لا يريّحه
ويوضح أن ابتراد الليالي يحيّره
ويفسر أن الخطيئة في الدفءِ
كيف يخلي الليالي بها بَرَدٌ
ويعرّج بين الهضاب وبين الجبالِ
ويدين الأطباءَ
كيف يدسون عن غجريِّ الطريقِ
العيونَ العواشقَ؟
كيف توافق سيدةٌ تشبه البرتقالَ
تخبيء قنبلتين
بنظارةٍ
غير فضَّاحةٍ؟

وهما رغم دسهما تقدران على القتل
ضالعتان بفعل القتالِ
لا يحدد خارطة للبنفسجِ
يهواه منتشرا بامتداد البلاد
لصيد القلوب
وسبي الرجالِ
إنه الغجريُّ المراوغ في عشقه
وهي سيدةٌ تشبه البرتقالَ
وتبقى على مدد الشوف
غامضةً في السؤالِ.

نَشِيدْ

ديسمبر ١٩٨٠

نامي على هذا الكلأْ
روَّيتُ باسمِكِ زهرتين عشيقتين
ونثرتُ عطرهما
على هذا الملأْ
جرَّبتُ حالَ البحرِ
ما فرّحتُ موجتَه ولا روّى الظمأْ
شبَّهتُ مصباحي بأشجار المسَا
فأضاء هذا الشجرُ العالي

ومصباحي انطفأْ
ما عاد غير العشب
هذي شَجْرَتِي عطشى
ودربي مُرْتَجَأْ
نامي على هذا الكلأْ .

نَدَى

أكتوبر ١٩٨٠

كرّاسةً للصمتِ والكلماتِ كانت
وجهُها الصبحُ ابتداءُ الحلمِ
يبدأ قطرةً
ويسيلُ نهرًا
صوتُها الزمنُ الذي سيجيءُ أشعارا
وأحلاما
وأوطانا
وعمرا واسعا

والخطوُ خيلٌ
والعيونُ مدى
وكانت تبدأ اليومَ الجديدَ السمتَ
بالضحك المندِّي
وافتتاح النهر والطرقاتِ
والطيرُ المسافرُ ليس يخطئها
يهاجر حول نهديها
يُخَبِّيءُ صوتَه الصبحَ المُغَرّدَ
يحتمي فيها
يقلّد خطوَها
ورفيف ضحكتها الندية
تضحكُ
الريحُ المهاجرةُ المدائنَ عودتها أن تروقَ لها
تهدهدها

تبعثر شعرها المجنونَ
والثوبَ الحقوليَّ
الزهورُ تجيئها من آخر الدنيا
فتفرح بانكسار الراء في الشفتين
والشَّعر المسافر في الفضا
كانت يفاتحها الشتا
لا ترتضي منه الصقيعَ
فتدخل البردَ الثقيلَ هوىً ربيعيا
وضحكا أخضرا
كانت تكاشف في الصباحِ الصبحَ
بالصبحِ الذي يسكن فيها
تفجأ الشجرَ القديمَ بطلعها النوّار
تطلع قبله في الصبحِ صبحًا
واخضرارًا

وهي تضحك طفلةً
وكأنّ كل الليلِ فيها الصبحُ
والصيفَ الحريقَ الحقلُ
والوطنُ الربيعيُّ المُرَجَّى
والسما مزنٌ على كل الصدورِ
فيورقُ القلبُ الذي اشتاق النزولَ
كأن كل الحبّ حطّ على الحشا
في نظرتين
كأنّ كل البعدِ بعَّده التقاربُ
والحنينُ
كأنّ كل العمرِ صار حدائقا
والشوكَ شوقا
والحكايا الشعرَ
والسمرَ الطويلَ

وتبدأ اليومَ الجديدَ السمتَ بالضحكِ المُنَدّي
وافتتاح النهرِ
والطرقاتِ
كانت للمياه شواطئا
والمدْنِ جدرانا
وكانت لي
وكنتُ لها
وتأتيني
تقيم التوقَ والشِّعرَ المدمي في العروقِ
وتصطفي مني الفؤادَ الدارَ
تسكنه
تقاسمني الشتا والصيفَ
تسري في شراييني
وتقتل فيَّ مُدْنَ الخوفِ

تسري
تستحيلُ دمًا
وعمرا واسعا
وهوًى حريريَّ الخُطَا
وحدائقا للفرْحِ
حين يحطُّ في الجسمِ الخَرِبْ .
.....
لكنها لما خَطَا زمنُ التخاصمِ بيننا
أولى خُطاهُ
وحطّ طيرُ البعدِ في طرقاتنا
خَرِبَ الجناحِ
وجاءنا العمرِ البخيلُ
وفاجأتنا التفرقة
دارتْ

وطارتْ عن حدائقِ عمريَ الوطنِ الذي
قد قاسمتني الصيفَ والدمَ فيه
أعطتني الزمانَ الشّعرَ
والعمرَ الجميل.

.....

ألعشقَ كانت
والمحطّاتِ الإقامة
والرحيلْ.

مِنْ قِصَارِ الْقَصَائِدْ

مارس ١٩٨٣

خماسية

تعالِيْ وروحي كما شئتِ فالشجْرة الناشفةْ
في ممرّ الحديقةِ لما تزلْ واقفةْ
في انحناءتها الأبديةِ منذ التقينا معا ذات أمسيةٍ راجفةْ
وكتبنا على جذعها اسمين يخترم السهمُ ميميهما
وتعرّش فوقهما البهجةُ الخاطفةْ
والحديقةُ ترقبُ عودتنا واجفةْ.

رباعية

هيا لنصعد الدَّرَجْ
ألوقتُ مقتولٌ ورملُ القلبِ يبغي يمتزجْ
بهوائك الفرحانِ والفلِّ الذي في زقزقات حروفك
العطشى إلى أرَقِي النَّدِيّ المبتهجْ
فاعْليْ إلى سنواتيَ العشرين صاديةً تروم الماءَ يقطر
بين كفَّيَّ المُبَلّلَتين هيا نصعدُ الدَّرَجْ.

ثلاثية

أحبها

كأنها

خطيئتي التي أبيتُ أن أتوبَ بعدها.

ثنائية

- ماذا يفعلُ محبوبي ؟

- يلهو بي.

واحدية

تحتاج نهاراتُ اللهِ الواسعة لأن تفرحَ حين تكونين معي.

خاتمة من ثلاثة أحرف

هيا.

لَيْسَ تَدُلُّ عَلَيْكَ الْحُقُولْ

يناير ١٩٨٠

دمعة دمعة تسكن الآن كل الشواطيءِ
في مقلتيك
دمعة دمعة تستحيل البحار طيورا
ضبابية الأجنحة
تسافر فيك
وسرابَا
على هيئة الأضرحة
يخطِّف عينيك في آخر الأفق المتباعد

يتشكل وجه المدائن
أغنية
وعذابَا
وحمائم تضرب بين هواء ثقيل
وسحابَا
يقلّب وجهك بين ابيضاض السماء
وبين ازرقاق البحار
يتمدد
تحمله في عويناتكَ النظراتُ الشريدةُ
والأمسياتُ الحزينةُ
والأمنياتُ التي لا تدوم
وتنفرد الطرقات أمامك حزنا
وأمنيةً
واغترابَا

وحلما يراقص فيك الزمان الجميلْ
وليلا يطولْ
وشيئا فشيئا تطول المسافات في خطواتك
ترتحل السنوات العجاف بعينيك
تبكي الطفولةُ فيك زمانَ اغترابكَ
تبكي زمان الموات البطيءِ
تلملم أشلاءك الضائعات
وترحل من سنوات الرجوع
ومن سنوات التلاقي
إلى زمن الحلم والإنتظارِ
وترحل
شيئا فشيئا تذوب مع الشمسِ
عند الغروب
ليس يعنيك صمت الفيافي

ووجدُ البحارِ
وليس تدل عليك الحقولُ
ولا المركباتُ
وترحل تحملك القاطرات الغربيةُ
حتى تذوب مع الشمس
عند الغروب
كان رافقني وجهُكَ الصبحُ
من أول الزمن الموتِ
رافقني صوتك الحلمُ
من أول الأمنيات
كان موعدنا خضرةُ الإنتظارِ
وتحويشةُ الفرحِ
موعدنا السنة المقبلة
وانتظرتك

عمرا من الزمن المرِّ
والسنوات المميتة كان انتظارك
عمرا من الغربة القاتلة
ووجهك ذاب مع الشمس
صوتك غاب مع الامنيات
وعيناك ما عادتا تبرقان
ووحدي.

جَوَابْ

أبريل ١٩٨٤

انتبهي يا ملكة
فقط
عليك أن تقفي
بعد انتهاء الندوة
في مدخل البهوِ العريض
تضُمِّين الكتاب بالأصابع المشتبكة
أنا
أكون ماشيا مع الرفاق

وخارجا من حالة القصيدة
محتدما في جدل عن الزحافات التي
تعترض استدارة النهدين
ممَّا يجعل العروض مرتجًّا
كرج نهديك المراوغين
حين تسرعين خطوك الخفيفَ
في مشيتك المرتبكة
سأمهل الرفاق لحظةً
لكي أشطِّرَ الكلام
أجعلهم يحدقون في استدارة السكونِ
واستطالة الحركة
لحظتها
حين يكون رجز الفراهيديِّ نقطةَ الخلاف
بينهم وبيني

أتركهم يتهمونني
بأنني أغاضب الخليلْ
مصوّبا عينيَّ في عينيك
وأعرفُ
الجوابْ.

طِفْلَةُ الْحَدَائِقِ الْوَاسِعَةْ

مايو ١٩٨٤

هذا صباحٌ ليس يشبهه صباحْ
ها أنت تقترح الرحيل مدينةٌ أخرى تزيد عذابك
المتواصلَ
الفرحُ العصيُّ على حدودِ بنفسجات رفيفها
ضدُّ اقتراح تحجر الدمعات
بالعينين
والحزن القُراحْ
ها أنت مخطوفٌ

كأنك مقصد البلدان أجمعها
تشد خطاكَ
لا تلوي على شيءٍ
كأنك حاصرتك الناسُ
تفترض ابتهاجا
والمنايا في يديك
كأنها عطر الأقاحْ
وتخاطب الطرق الوسيعة بالقصائدِ
تشتكي هذا النديفَ
لمن تقول حكاية
عن طفلةٍ خجلانةٍ من ناهديها
من ستمسكه بمفترق الطريق
تريه منبعَ دمعك المكنون
يستعصي على الكتمانِ؟

من ستشده من آخر الدنيا
تجرره لحجرتك البعيدةِ
ثم تعقد جلسة معه
تقول له عن الفرح الأسيرِ
وعن فتاةٍ حلوةٍ
خجلانةٍ من ناهديها
ترتدي شجر الشمال
وفتنةَ التفاحْ
وأنت عريانٌ
وتشكو من نديف الليلِ
تعقد جلسة معه
تخبّرُه بأنك لم تُخَبّرْها
بأن طيورها نقرت ضلوعك
حيث لا تدري

ورشرشت الحشا الصادي
بعطر بنفسجات رفيفها الفرحان
مسّت قلبك المخطوفَ
كالجرّاحْ
وتقول هذا صوتها حانٍ
وتلك عيونها حيرى
وتطرح في يديه سؤالك الحيران:
ماذا يفعل المشتاقُ
لما يحتويه الليلُ
تسأله:
وما حال الحشا الصادي
إذا هجرته أطيارٌ
تعوّد عطرها الفرّاح؟
ها أنت تقترح الرحيل

بلا رواحْ
خفّف خطاك
فتلك عادات الملاح
هذي محطتك الأخيرة
بين بدئك والبراحْ
وربيبة السفر المتاحْ
خجلانةٌ من ناهديها لا عليك
انفض غبار مسيرة الترحالِ
وامسكها بمفترق الطريقِ
وهزها
جرب جراحكَ مرةً
في مقلتين نبيَّتين
وناهدين مراهقين
وطفلة العشرين أغنية

على جسر الجراحْ
شُدَّها من آخر الدنيا
وجرِّرها لحجرتك البعيدةِ
ثم خَبِّرْها بأن طيورها نقرت ضلوعك
حيث لا تدري
وبحْ يا متعبا
أطلق على هذا الصباح الحلوِ
طيرك
إنه صدّاحْ.

حِكَايَةُ الْعَصَافِيرِ وَالشَّجَرْ

فبراير ١٩٨٢

لا ينحازُ حبيبي لي
ينحازُ إلى العصفورات
وأنا لا أنحازُ إليه
أنحازُ إلى الشجرِ الطالعِ
والعشب المتسلق.

.....

بيني وبين بلاد من هجر الفؤادَ
بلاد

شجرٌ
وعشبٌ طالعٌ في كل ناحيةٍ
وليس يروح ناحية المهاجرِ للعصافيرِ
البعيدة
بيني وبين بلاده
جرّبتُ زقزقة العصافيرِ
جربت رفرفةَ العصافيرِ
وبنيت لي عشا على الأشجار
خبّأتُ قوتَ الجسمِ
ما خبّأتُ قوتَ القلب
حتى كبرتُ
ولم يزل قلبي صغيرا في تعشّقه
هاجرتُ من عشي
وجربتُ البلادَ

حططتُ في كل البلادِ
وها أنا في آخر الأيام
أصبحتُ كهلا
ضيقا بالعشبِ
والشجر الكثيرِ
ولم يزل بيني وبين بلادِ من هجر الفؤاد
بلاد.

.....

من أجل حبيبي قلّدتُ العصفورات
زقزقتُ
ورفرفتُ
لكن حبيبي من أجلي
هل قلّد شجرا يطلعُ
أو عشبا يتسلّق؟.

اَلْمَرْأَةُ الثَّلَاثِينِيَةْ

يوليو ١٩٨٤

مرة مرأةٌ مرقت من أمامي
ذات مسا
مرأة حلوةٌ
وأنا رجل خشن جربته الليالي
وحيدا
وجربها في نحول كواكبها
واشتعال سماواتها بالخطر
مرأة كالعصافير وادعةٌ

وأنا شجرٌ يترقب حط العصافير
فوق الثمر
وينصِّب أوراقه شركا
أنا أوقفتها وقفت
ثم كلمتها
فتزوق زهر البنفسج في شفتيها
ورش أطايبه في الممر
حكيت لها حرقة القلب
رفرف طير الحنين على راحتيها
ودخلتها سكة متعرجةً
فتتبعها مهرجان من الطير
والزهر المتفتح في عنفوان نداوته
وافتضاح الصور
مرأة جسمها أبيض وطريٌّ

يبرره عطش البحر للشاطيء المتقارب
والمتباعد
يضربه
ثم يهجره
ويطيل النظر
وشرحت لها غربة للقطارات
لما تهاجر بين الحدود
وبين الحدود
شرحت لها كيف أن الأراضين عطشانةٌ
دائما
والتراب به رغبة للتخلُّقِ
مثل البشر
يا رجلا عطشا
يستبيح تضاريس جسم طريٍّ

لسيدةٍ في الثلاثين
عطشانةٍ للكلام الجميليَّ
هل خبرتك الفصول بأن افتتاح المواسم
مرتبطٌ بجنون ضفائرها للسفر؟
أن ركض الخيول به هوس الاقتباسات
من ناهديها
إذا انطلقا في اهتزازة خطوتها؟
أن حالتها الارتباكيةَ اقتضت المشهد الإنفعالي؟
لكنها ستلملم أشلاء هذا التوتر
وتهدهد حالتها بيديها المؤرقتين
وتمسح في هدأةٍ قلبَها بأصابعها
قلبُها المتستر يفضح في الصبح سر الذي
كان في الليل من أمره
ويذيع الخبر

يتوحش بين ظلال النهار
يظل على حالة للتوحش
حتى إذا عسعس الليل
عس الطريق إلى رجل خشن
هو لا يرتضي أمره لسواه
يواعده أنه يستطيع يخبيء أسراره
يستطيع يحوش أخباره
يستطيع يداري حكاياه
لكنه ليس يقدرْ
وسيفضح في الصبح سر الذي كان في الليل
من أمره
ويذيع برغم التوجس ما حوَّشَا
إيه يا من تصبرت وحدك بالليل
هل خبرتك القيامة أن الإله سيغفرْ

ويسامح أن تستبيح تضاريس سيدةٍ
في الثلاثين
عطشانة؟
ويبررها أنها غلطة
وتمر
ويعقد صلحا
يصالح فيه الخطيئة بالخير
أو ربما ويزيد بها حسناتك
يعطيك عشرة أمثالها
وتزداد خيرا
وبر
أنت مذ لامست جسمك المتوقدَ رشفات سيدة
الإرتعاشات
صارت خطاياك طاهرة

منذ أن كورت راحتاك استدارة نهدين
ضاقا على عالم الله كلهمُ
ثم فاضا عليك
إذا عسعس الليل
عسا طريقهما لخشونة كفين
ياما توحشتا دفءَ سيدةٍ
ترتدي الإرتباكات زيا
وتفتعل المشهد الفوضويَّ
وترشو القمر
أيا رجلا كان جربه وجع الليلِ
شوِّف نهاراتها ليلك الموجع
المستبد
وشوِّف محطتها
تعب السفر المتواصل

شوِّف حلاوتها
طعمك المالح المر
كشِّفْ لطري ابيضاض ثلاثين أغنية
كل ما حوّش القلبُ
في سنوات الفراغاتِ
واقرأ عليها صحائفك الغابراتِ
انتصرتَ
فعدِّد جميع هزائمك الآن قدامها
قل لها منذ عشرين معركةً
كيف لم تنتصر
إنتصرت
وواحدة بعد طول انهزامك
أوقعتها في شراكك
فانفرطت في يديك

كما انفرط الماءُ بين يديْ راكبِ
البحر
صارت بكفيك مطويةً
مثل أغنية في المواويل
يطلقها في الليالي الغجر
طينة للتخلُّقِ بين يديك
كما خلَّق الله في البدء من طينة الأرض
ناسا
وشجْرًا
وبحرا
وشمسا
فخلِّق من الإرتباكاتِ والقلق العاطفي
الذي تبتغي من بديع الصور
أنت لست إلها

ولكن سيدة في الثلاثين
قد تمنح المتعطش سر التعالي
وتصبح وحدك
من دون كل العطاشى
إلها له سر أن يتصعد في أخريات المسا
اشتجر الآن في عري سيدةٍ
تتكور
هل تسمي تواريخك الآتيات ابتدا؟
أم ستصنع من عريها برزخا بين عمر
وعمر
وترقى
تسمي تواريخك الماضيات
ضروبا من الجاهلية والرقِّ
أنت انفردت

وضقت من الليلِ حين تكون
وحيدا
وتبتَ من الوجع المتعود جسمك
أنت استرحت من التعب المتواصل
قل ما تشا
يا جميل الكلام
ويا ابن الهوى المستتر.

صَفَاءْ

يونيو ١٩٨٢

مقلتاكِ اللتان استوى شجرُ الصيفِ
بين جفونهما
فجأةً أتتا
حطّتا في انتظاري
وما كنتُ أعرفُ هذا الغرامَ
ولا رفرف الشجر الحلوُ في جسدي
قبل هذي الفجاءة
شجرٌ يا صفاء

يتصيَّدُني
وكأني أنا صَيفُه
أو كأنيَ سُقيا يديهِ
وما أنا أقدرُ أن أتحاشى شِراكَ البراءة
لا
وبي كَلَفٌ بالثمار النواضِجِ بين بنفسجه
تتدلى مبللةً بالندى
شجرٌ يا صفاء
يكبر الآن بين دمي ودمي
يتخطّفني
يتعقّبني في خُطاي
ويتركني في اندهاشة عشب الحدائق
أشرب ماءه
شجرٌ يا صفاء

يكبر الآن بين المسامِ
ويكبر
يكبرُ
حتى تصيريَ سيدةً للفراغِ
وسيدةً للهناءة
يتفرع في جسدي
ويروي مشاوير روحي
فسبحان
سبحان هذا الشجر.

رِسَالَةٌ من عَاشِقَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى الْحُبّْ

ديسمبر ١٩٧٩

ابق مكانك
لا تتحرك
لا تلبس ثوب الأفراحِ
وتيجان البهجةِ والأشواقْ
لا تطرق بابي
لا تلمس أثوابي
فالحب كبيرٌ وكبير
وأنا ما زلتُ صغيرة

أجري بين الأشجارِ وبين الأزهارِ
وأنتظرُ رجوعَ الموجةِ متكسِّرةً
لما تصطدمُ بفرحِ الموجِ الآخر
في شط البحر
لا أعرف كيف يكون الحبُّ
وكيف يجيءُ
وكيف يموتْ
لا أملك قلبا يقدر أن يتسلقَ جدرانَ
العشقِ
وأشواك التوتْ
لا يقدر أن يتحمَّلَ قِطَعَ الشجنِ المتناثرِ
في الطرقاتْ
لا أملك زهو الفتياتِ
ولا القطن المتوهجَ في أجساد المعشوقاتْ

لا أملك قلبا يعشقك بصدق
لا أملك أحزانا بين الأحداقْ
لا أقدر أن أتحيَّرَ في بحر الأشواقْ
فلتبقَ مكانك
لا تقرب بابي.

قُصَيِّدَاتٌ لِسَيِّدَةِ الْفَرَاغْ

أغسطس ١٩٨٣

حسم

ليس إلا امرأة
ستصالح ما بين عينيك والطرق المرجأة

فرح

لصفاء مُتّكَأٌ على البحر
يزوّق باحة المطرح
بالنرجس العالي ولي هذا الفرح.

مبايعة

اتئدْ يا ملك
كلها خطوةٌ
ويبايعك العاشقون على عرشهم
عندما يبصرون فتاتك ساكنةً بين رمشيك
فوّاحة بالغناءِ
فلا ترتبك.

درب الفرح

ولك الآن أن تستريحْ
فيداك مُعَبَّقتانِ
وعيناك فرحانتانِ
وصاحبة النظراتِ الطموحْ
منذ زعّلتها في الصباحِ

وصالحتها تحت تدويرة الدَّرّجِ الخشبيْ
خبَّأتْ في خطاك المبعثرَ دربَ الورودِ
الندِيْ
فافترحتَ
وصادك هذا الهواءُ الجريحْ.

غناء

أنا طائرٌ متعَبٌ في المنافي
إذن
سأسمّيكِ هدأةَ هذا المدى
وأجَرّبُ فيكِ
غناءَ الفيافي.

مَزْمُورٌ صَغِيرْ

لي أغنياتي
ولي عزفي ومزماري
ولي على طرق العشاقِ أسفاري
خذي أغانيَّ
وافترحي بآهاتي
لا تطلبي مني مزاميرا
يخلدها الهوى
فلا أنا داوود
ولستِ أنتِ
من بناتِ أورشليم.

لزوميةٌ صغيرة

روحي وروحُك في الهوى إلفانِ
يتمازج الجسدانِ أو يتفرّقانِ
فجسمنا فاني.

نكران

حبيبي لم يعد يبكي
أنا أعطيته فرحا
يغطي الدار
وينثر في المجاز الورد
كي يختال في المشوار
فكيف إذا أتيت إليه
يجهلني؟

وكيف يصير مشغولا طوال الوقت
بالأزهار؟.

صدى

تكونين أنتِ صدى في الفراغِ
وأختتمُ الآن
هذي القصيدة.

خَرِيفِيَّةْ

أغسطس ١٩٧٩

حكايتها كالأساطير
تحفظها الراوياتْ
ومثل الخرافاتْ
ويعرفها الناسُ والطرقاتْ
تدور القرى والمدائن
والدورَ والعتباتْ
وكانت مدينتها
فوق شط الذين على طرقات الهوى

يرحلونْ
دخانيةً
بها النارُ والبرقُ
والرعدُ والخوفُ
والأمنياتُ الخئونْ
بها طرقاتٌ يروحون فيها
ولا يرجعونْ
بها شجرٌ
ورقٌ أخضرٌ
حملته العصافير عاما
فعاما
وصار خرابا
بناياتها نسجت من خطايا الرجال
ومن قافلات الرحيلِ

مزيجٌ من الريح والعاصفاتْ
ومن أمسيات الجنائز
والنائحاتْ
وكانت جميلة
تُرَقِّصُ في خطوها مهرجانَ الرياحِ
إذا عبرتْ
فاصطفتها المرافِئُ
بين الرّواحِ وبين الغُدُوّْ
وبين الشروق وبين الأصيلِ
انتقتها النوارسُ
معشوقةً للأعاصير
كانت جميلة
وكان جمالا حزينا
تعلَّمت الشمسُ منه الغروبَ

تعلم منه الخريفُ الرجوعَ
وكانت تحبُّ الغناءَ
تظل تدقّ على باب وحدتها
وتُرَقِّصُ أوجاعها
وحدها
وتطيل المواويل والسكتاتْ
وتضرب في وتر العودْ
وتسهر في الليل بين الشواطيءِ
يعشقها البدر
والطيرُ
والقبَّراتُ الطروبْ
وتبني بيوتا من الحزنِ
والشجنِ الهاديءِ الحُلوِ
ترسم عاشقها بالصباباتِ والرملِ

تحكي له عن زمان الرحيلِ
وعن طرقات التغرُّبْ
وتشكو له المد والجزر
والقاطرات التي لا تعودُ
تغني له أغنيات الفراقِ
وتبكي على راحتيه
تصالح فيه الزمانَ البخيلَ
تجرّبُ فيه التعشّقَ والتوقَ
والصدَّ والهجرَ
والأمنيات الحلوبْ
تجرب فيه الزمان الجميل
وتسهر في الليلِ
فوق الشواطيءِ
تعبث في الرملِ والماءِ والريحِ

ترسم عاشقها وتعاتبه ثم تهدمه
وتغني لطير الوداعِ وللزمهرير
وتنشد أشعارها لزعيق العواصف
كي تتسلّقَ دارتها
وتراودها عن مواويلها
وتغني لطير الوداعِ
وللزمهريرِ
وللمزنِ حين النزول:

(وخذني حبيبي
وخاصم زمانَ التخاصُمِ
إني خاصمتُه
وصالحتُ فيك الزمانَ الجميلْ
وأطفيءْ بصدريَ نيرانَ شوقي

إنيَ أوقدتُها
وانتظرتُكَ عاما فعاما
وأنتَ اصطفيتَ الرحيلْ
ارتضيتَ به زمنا
وأقمتَ به وطنا
وعشقتَ الإقامة).

خَاتِمَةُ الْقَولْ

يعيشُ على حُرَقِ الذكرياتِ
ويقتاتُ آمالَه الخادعة
كأني به في جحيم الحياة
نبيٌّ جفاه الذي أبدعه
تراه فتقرأ في وجهه
ملاحم أيامه الضائعة.

صالح الشرنوبي

مؤلفات السمّاح عبد الله

أولا : دواوين شعرية

٠١ - شتاءة للعاشق الوحيد

٠٢ - سقيفة الفقراء

٠٣ - حصيرة البارحة

٠٤ - خديجة بنت الضحى الوسيع

٠٥ - مكابدات سيد المتعبين

٠٦ - الواحدون

٠٧ - أحوال الحاكي

٠٨ - مديح العالية

٠٩ - خلاخيل العابرة
١٠ - الرجل بالغليون فى مشهده الأخير
١١ - ثلاثاءات عابر سبيل
١٢ – متى يأتي الجيش العربي ؟!
١٣ – قبو الثلاثين
١٤ – تصاوير ليلة الظمأ
١٥ – طرف من أخبار الحاكي
١٦ - نثر الدر

ثانيا : المسرح الشعري
أغنية إلى النهار

ثالثا : المختارات الشعرية
عن الأشياء نفسها

رابعا: مختارات من الشعر العربي

١ - مختارات من شعر محمود سامي البارودي

٢ - مختارات من شعر أمل دنقل

٣ – مراثي الإمام محمد عبده

خامسا: إعداد وتقديم

١ – ديوان ولي الدين يكن

٢ – ديوان إسماعيل صبري

سادسا : شعر الأطفال

١ - شجرة الأسبوع

٢ – خير الأمور الوسط

٣ – الأغاني الصغيرة

٤ - أغنية الشجرة

٥ – بستان الشهور

٦ – قط في المرآة

سابعا: فصول من السيرة الذاتية
الرحل ذو الجلباب الأزرق الباهت

ثامنا: كتب مجمعة:
عطلة الشجرات، مجلد يضم ثمانية دواوين، هي: نثر الدر، طرف من أخبار الحاكي، تصاوير ليلة الظمأ، قبو الثلاثين، متى يأتي الجيش العربي؟، ثلاثاءات عابر سبيل، الرجل بالغليون في مشهده الأخير، خلاخيل العابرة.

تاسعا : كتب عن الشاعر
١ - وجوه بين صوابعي مقاربة شعرية لديوان الواحدون أسرار الجراح دار التلاقي للكتاب ٢٠١٠

٢ – الزمن ودلالاته في شعر السماح عبد الله دراسة نقدية د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٣ – قراءة الثورة بأثر رجعي دراسة في قصائد خديجة للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٤ – تجليات الزمن في ديوان "مديح العالية" للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

عاشرا: بيانات:

مدير بيت الشعر المصري، مركز إبداع الست وسيلة.

هاتف شخصي: ٠١٠٠٧٥٥٨١١٧.

بريد إلكتروني: alsammah63@yahoo.com

المحتوى

إشارة ٠٠٦

إهداءة ٠٠٧

بدء القول ٠٠٩

غَرَامْ ٠١١

يُحَاوِلُهَا الْكَافِرُونَ وَتَرْضَى ٠١٣

كُنْ وَطَنًا لِي ٠٢٥

٢٩. حِكَايَةْ

٣٥. مِنْ حَالاتِ الجُنْدِيِّ الصَّبُّ

٣٩. حِكَايَةٌ مَنْقُوصَةٌ

٤٣. قَبْضُ رِيحْ

٤٧. وأعْرِفُ أَنَّكَ كَالطَّيْرِ

٥١. خُدْعَةُ فَبْرَايِرْ

٥٥. عَنْ حَنِينِ الْبَنَفْسَجْ

٥٩. نَشِيدْ

٦١. نَدَى

٦٩. مِنْ قِصَارِ الْقَصَائِدْ

٧٣. لَيْسَ تَدُلُّ عَلَيْكَ الْحُقُولْ

٧٩. جَوَابْ

طِفْلَةُ الْحَدَائِقِ الْوَاسِعَةْ ٠٨٣
حِكَايَةُ الْعَصَافِيرِ وَالشَّجَرْ ٠٨٩
اَلْمَرْأَةُ الثَّلَاثِينِيَةْ ٠٩٣
صَفَاءْ ١٠٥
رِسَالَةٌ من عَاشِقَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى الْحُبّْ ١٠٩
قُصَيِّدَاتٌ لِسَيِّدَةِ الْفَرَاغْ ١١٣
خَرِيفِيَّةْ ١١٩

خاتمة القول ١٢٧
مؤلفات السمّاح عبد الله ١٢٩